د. محمد شوقي الزين

الفلسفة واليومي

الحصة السادسة

ابتكار اليومي: ميشال دو سارتو

الاهْتمام باليَوْمي

- استعاد ميشال دو سارتو مباحث عديدة من فلسفة هنري لوفيفر حول الحياة اليومية، لكنه قام بتعديلها وأقلمتها للمباحث التي اشتغل عليها والتي كان تُشكّل صُلب تفكيره الديني والفلسفي والسوسيولوجي، وعنيتُ بذلك «**التاريخ**» و«**التصوف**» و«**اليومي**»، بالتأمُّل العميق في الممارسات اليومية العادية التي تشمل التعبير اللغوي في التبادل الشفهي، فن الطبخ، فن السكن، القراءة، التجوُّل في المدينة،
- كيف قرأ ميشال دو سارتو اليومي؟ ما هي الإضافة التي أتى بها بالمقارنة مع الدراسات السابقة عليه أو المعاصرة له؟ أيُّ منهج اقتفى مبادئه في معالجة اليومي؟ كتابه «**ابتكار اليومي**» في جزأين: الجزء الأول «فنون الأداء العملي» كتبه بمفرده؛ والجزء الثاني «السكن، الطبخ» دوَّنه بالاشتراك مع لوس جيار وبيير مايول؛ هو أحسن مدخل إلى قراءة طبيعة اليومي.

الاسْتِرَاتِيجي وَالتَكْتِيكي: الثَّابِت والمتَحَوِّل

- لم تكن ثنائية الاستراتيجية-التكتيكية عند دو سارتو مجرَّد ثنائية تراتبية بين سلطة ومقاومة أو بين خشن وليّن، بل هي عنده ثابتة بشرية تقوم على فكرة «الثابت» و«المتحوّل» وقابلة للتعميم على كل مجالات الحياة اليومية.
- 1. في **الهندسة المعمارية** الثابت» هو المنزل بشكله والمواد المركَّب منها و«المتحوّل» هو جُملة النشاطات التي يقوم بها الأفراد في المنزل.
- 2. في **المجال الحَضَري** «الثابت» هو المدينة بعماراتها وشوارعها و«المتحوّل» هم الأفراد الذين يتحرَّكون بداخلها عبر التنقُّل والمشي.
- في **المجال اللغوي** «الثابت» هو اللغة بأبجديتها ومعجمها أي بالمنطوقات المتداولة و«المتحوّل» هو الممارسات اللغوية في السياق.

طَبِيعَة اليَوْمي

- «**يُبتكَر اليومي بألف طريقة في الاصطياد**». الكلمة «اصطياد» (braconnage) هي الصيد في الأوقات المحظورة وفي الأماكن الممنوعة. فهي نوع من القرصنة. يُشبّه دو سارتو طبيعة اليومي بهذا الاصطياد في الأماكن المسيَّجة للاستراتيجيات الموضوعة في المجتمع. يُصبح «اليومي» عنده رديف «التكتيكية».
- اليومي زاخر بالأفعال والممارسات التي يتمُّ ابتكارها وتوجيهها في كل لحظة، وبحكم حَرَكيتها وديناميتها، فهي تكتيكات تعمل على الإفلات من سطوة الاستراتيجيات الضخمة والثقيلة: الإدارة، المؤسسة التربوية، القانون الصارم، إلخ.
- ما يقوم به الأفراد يومياً هو محاولة التحايُل على الطابع السكوني لليومي، بنفخ الحركة فيه وتحريك بنياته الثابتة.

ذَكَاءُ الاسْتِعْمَال

- العامل الأساس الذي من شأنه أن يُحرّك الثابت من الداخل أو يقاومه وجهاً لوجه، هو «**الاستعمال**» (usage, use).
- الاستعمال هو إزاحة الثابت وإدخال الحركة فيه: مثلاً، استعمال المكان الحَضَري (المدينة) بالتنقُّل، واستعمال المكان الهندسي (المنزل) بتنظيم الداخل (الغُرف، الأثاث...)، واستعمال أبجدية اللغة لتركيب منطوقات تُستعمَل في سياق الحديث وتصبح ممارسات لغوية لها علاقة بإطار عملي معيَّن.
- يريد دو سارتو بالاستعمال مجاوزة التصوُّر السلبي حول أفراد خاضعين لمنطق الإنتاج ويكتفون باستهلاكه. الرهان هو تبيان أن الاستعمال هو تكتيكية في التحايُل على الإنتاج، بالتصرُّف به بأشكال مختلفة ومتنوّعة.
- «إنَّ الممارسات المدروسة في [كتابي] **ابتكار الحياة اليومية** هي ما ندعوه في اللسان الإنجليزي بالمفردة "يوز" (use) لاعتبارات تقنية خاصة باللغة الفرنسية، مصطلح "يوزاج" (usage) له دلالة وضعية، عندما نقول الاستعمال [يقصد في الفرنسية]، فإننا نستحضر الشكل الوضعي للسلوك، بينما الرهان هو العودة إلى ما أثار اهتمام المنطق الإنجليزي منذ مور، بمعنى استعمال اللغة».

- Louis Quéré, « Les sciences sociales face à la rationalité des pratiques quotidiennes : questions à Michel de Certeau », in *Problèmes d'épistémologies en sciences sociales, II- Sociologie, pratique et politique*, Paris, CEMS (EHESS, CNRS), 1981, p. 84-85.

اسْتِعْمَالَات الاسْتِرَاتِيجِيَّة وَالتَّكْتِيكِيَّة

- هناك ثنائيات مثل «**المكان والموقع**» (قراءة في الفضاء الهندسي والمعماري) و«**الإنتاج والاستهلاك**» (قراءة في الفضاء الاقتصادي والتواصلي).
- تتبدَّى «**الاستراتيجية**» نسقاً من الأعراف أو القواعد أو الإكراهات، وهي تعادل «نسق اللغة» في الدراسات الألسنية؛ وتتجلّى «**التكتيكية**» استعمالاً فعلياً في ظروف أو ملابسات معيَّنة، وهي تعادل «أداء التعبير».
- يصبغ دو سارتو على **القراءة** الخصائص التداولية نفسها التي أضفاها على الاستهلاك بوصفه إنتاجاً فرعياً أو ثانوياً. فهي، أي القراءة، «إنتاج صامت»، لأن ما تنتجه تستهلكه على التوّ، ويتبدَّى إنتاجها في إشارات أو حركات. القراءة هي تكتيكية تجوب الفضاء الإستراتيجي للكتابة.
- السائر في **المدينة** الذي يتجوَّل بحركة مرنة ومفتوحة على الإمكان والخيال وسط نظام صلب ومُقنَّن كما يُمثّله التنظيم الحَضَري: شوارع مُعلَّمة بمنازل مُرقَّمة، وإشارات المرور المنسَّقة بالضوء الأخضر (الجواز بالمرور) والأحمر (الأمر بالتوقُّف)، والممشى الذي يَعْبُره الراجلون، وكل المعالم التي تنظّم الحركة.
- المدينة هي مجرَّد نسيج عُمراني على غرار اللغة التي هي مجرَّد نسيج من العلامات.

مخطط اليومي عند ميشال دو سارتو